3 – حركة الترجمة في الأندلس:

حل العرب بشبه الجزيرة الإبيرية سنة 711 م واستقروا بها زهاء 7 قرون، وخلال هذه الفترة تقلبت أحوال وأوضاع الأندلس فكانت آخرها فترة حكم "ملوك الطوائف". لا يمكن نسيان الأندلس التي كانت موطناً للنقل والترجمة العلمية أو الثقافية إلى العربية بعد بغداد قبل أن تصبح موطن الكشف والإبداع في ميادين الآداب والعلوم والفنون. فقد رعى حكام الأندلس حركة الترجمة وشجعوا عليها وعملوا على اقتناء الكتب ونقلها إلى العربية. يحدثنا ابن أبي أصيبعة في حديثه عن ابن جلجل، أن أرميانوس ملك القسطنطينية (٣٤٨-٢٩٣هـ، ٩٥٩-٩٠٥م) عندما أراد أن يرسل هدية إلى الناصر عبد الرحمن بن محمد في قرطبة جعل من ضمن هديته- كتاب أدسقوريدس الذي يحتوي على وصف العقاقير النباتية باللغة الإغريقية فقدر الناصر هذه الهدية حق قدرها. ولما لم يكن في دولته من يحسن ترجمة هذا الكتاب من اليونانية القديمة إلى العربية، فقط طلب من أرميانوس الإمبراطور نفسه أن يبعث إليه بمن ينقلها، فأرسل هذا الأخير إليه الراهب نقولا الذي وصل قرطبة عام ٣٤٠هـ وقام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية ولاسيما ما فيه من أسماء العقاقير. (سالم العيس، 1999، ص 25)

عرفت بلاد الأندلس نشأة مدرسة "طليطلة" للترجمة في القرن 12م، وقد ضمت ثلة من المترجمين الأوروبيين المتميزين جعلت منها أول مدرسة حقيقية للترجمة. ورغم التدهور والانحطاط السياسي الذي عرفته الأندلس، ظل الإشعاع الأدبي والفكري للمجتمع الأندلسي مستنيرا ومشعا لأن اهتمام الأمراء والملوك بالعلماء والمفكرين ظل قائما وذلك بتهيؤ الظروف الملائمة للبحث وبذل جزيل ووافر العطاء لهم وكذا حيازة المخطوطات منهم.

وبعد رحيل العرب، أصبح المجتمع الأندلسي يتكون من اليهود والمستعربين وهم الساكنة التي تعربت إلى حد ما ولكنها بقيت على دينها المسيحي وقد نتج عن هذا التعدد والتنوع السكاني تعدد لغوي أيضا. ومن بين العوامل الرئيسة والمؤثرة في حركة الترجمة بالأندلس هناك سلطة الكنيسة ومؤسساتها والتي مثلها البابا والقساوس وتليها سلطة الدولة وتتمثل في السلطة الإمبراطورية. وقد انقسم جمهور المترجمين خلال القرن 12م إلى مجموعتين المجموعة الأولى وتضم المترجمين "اللاتينيين" وقد حملوا هذا الإسم لأن لغة الوصول لديهم كانت اللاتينية وهي لغة الكنيسة بامتياز آنذاك، وأغلبهم من علماء اليهود الذين كانوا يجيدون اللغة العربية والفلسفة والعلوم الإنسانية الأخرى. وقد كان من مميزات هذه الطبقة اللاتينية أن غالبية هؤلاء المترجمين الذين شاركوا في هذه الحركة لا ينتمون إلى شبه الجزيرة الإيبرية، بل قدموا إليها من أراضي أجنبية وخاصة من إيطاليا والجزر البريطانية كما أن أغلبيتهم كانوا ينتمون إلى الكنيسة وهم نخبة مثقفة قادرة على الكتابة والقراءة وتُتقن لغتين أو أكثر.

ثم هناك مجموعة الثانية تضم المترجمين "الألفونسيون" وقد سموا كذلك لارتباطهم بـ''ألفونسو العاشر" وتخلّل عهده مشروع ترجمي ضخم قام بالسهر عليه ومتابعته وتمويله شخصيا خلال القرن 13 . ورغم غياب المعاجم المزدوجة والقواميس المختصة إلا أن مترجمي ذلك العهد كانوا يلجأون من أجل سد هذا الفراغ إلى التكاثف والتكامل من خلال الاعتماد على العمل الجماعي المثمر بين أصحاب جميع التخصصات فكانت النتائج مبهرة وإيجابية إلى حد كبير، وقد تجلى ذلك في الترجمات المنجزة والتي كانت على قدر كبير من الأمانة العلمية والجودة الترجمية.